الذهب ومحل الآخر جلد الميتة . وليس يخفى ان العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة انما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الانسان كما سيأتي بيانه اذ به تقبل أمانة الله وبه يتوصل الى جوار الله سبحانه وأما عموم النفع فلا يستراب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الآخرة وأما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم وأشرف موجود على الارض جنس الانس وأشرف جزء من جوهر الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتخليته وتطهيره وسياقته الى القرب من الله عز وجل فتعليم العلم من وجه عبادة الله تعالى ومن وجه خلافة الله تعالى وهو من أجل خلافة الله تعالى فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو أخص صفاته فهو كالخازن لأنفس خزائنه ثم هو مأذون له في الانفاق منه على كل محتاج اليه فأي رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه في تقريبهم الى الله زلفى وسياقتهم الى جنة المأوى جعلنا الله منهم بكرمه وصلى الله على كل عبد مصطفى اه

﴿ مشروع سكة حديد ﴾

« بين بور سعيد والبصرة »

كنا اقتصرنا عند الكلام على هذا المشروع لاول مرة على الاعتراف بعظيم فائدته وتفويض الامر فيه لحكمة مولانا السلطان الاعظم ووزرائه الصادقين وذلك لامرين أحدهما ماذكرناه في العدد الماضي من كون المقترح هو أن تكون لجنة العمل تحت رئاسة مولانا أيده الله تعالى لانها لا يمكن أن تنجح بدون ذلك وثانيهما ان للمشروع وجهة سياسية نبينها هنا

لا كما زعم محرر جريدة « وكيل » الغراء من انه عمل تجاري صراح لا شائبة للسياسة فيه ووافقه على ذلك المؤيد الاغر وطفقا يعذلان المنار ومعلومات على تفويض الاولى الامر للمرجع الاعلى وقول الثانية بمداخلة الاجانب أو معارضتهم وانما نذكر الآن فوائد هذا المشروع العظيم وغوائله وبماذا تتقى الغوائل وكيف ينبغي أن يكون طلبه سالكين طريق الاختصار والايجاز فنقول

(فوائد المشروع)

(١) التمكن من انشاء نواشط (ج ناشط وهو الطريق ينشط « يخرج » من الطريق الاعظم يمنة ويسرة) ومد فروع من الطريق الاكبر الى الحجاز والشام والاناضول ثم الى اليمن وبذلك تتصل بلاد الدولة العلية بعضها ببعض وتكون جسما واحداً

(٢) اقدام المسلمين على الاعمال الكبيرة وتمرنهم عليها وهي لاشك منشأ الثروة والقوة والعزة بل الحياة القومية

(٣) كون هذا العمل ينبوع ثروة للمسلمين القائمين به لا ينقطع ولا يغيض

(٤) انتفاع الالوف الكثيرة من الصناع والعمال وتعيشهم به زمناً مديداً ولاشك ان أكثرهم يكونون من العثمانيين وسائر الشرقيين

(٥) كون هذا المشروع (كما قالوا) مدرسة عملية يتخرج لنا مئين والوفا من الشبان في الهندسة العملية والاشغال الصناعية والمالية (وهذه الفائدة مغايرة للثانية بالضرورة)

(٦) عمران بلاد السلطنة الداخلية لاسيما بلاد العراق والجزيرة فاذا وطئت المسالك للمهاجرة الى تلك البلاد وسهل النقل منها واليها فلا

تسل عن مستقبلها وكيف لا وتربة دجلة والفرات تربي على إبليز النيل. قال هيرودتس المؤرخ ان حاصلات الحبوب في تلك البلاد تزيد عن البذر مائتي ضعف الى ثلاثمائة ضعف وان ساق القمح والشعير يبلغ عرضه غالباً أربعة أصابع وأمسك عن ذكر ارتفاع نبات الدخن والسمسم قال لانه لا يكاد يصدقه السامع وقال سترابو ان غلة الشعير تكون قدر البذرة ثلاثمائة مرة وقال بليني ان الغلة هناك تكون مائة وخمسين ضعفا . وقد يتوهم السامع ان في الكلام مبالغة وقد قال شسناي لو بذلت في تلك الارض بعض عناية الاتقين لرأينا من خيراتها مصداق القول هيرودتس

(٧) توسيع دائرة التجارة شرقية وغربية فان هذه البلاد التي ينشأ فيها الخط هي معقد الارتباط والاتصال بين الخافقين «الشرق والغرب»

(٨) التعارف والتآلف واجتماع الكلمة بين العثمانيين والهنديين والايرانيين العاملين في المشروع والمشتركين فيه ويدخل في ذلك قوة نفوذ الدولة العلية المعنوي في الممالك الهندية وغيرها من البلاد الاسلامية

(٩) اتصال الشرق الادنى بالشرق الاقصى وذلك مبدأ لجمع كلمة الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً واتحادهم اذا أرادوا العمل للاجتماع والاتحاد

(١٠) صيرورة طرفي الخط وهما البصرة والعريش من أهم المراكز التجارية في العالم

(١١) تسهيل السبيل وتقريب المسافة على حجاج الشرقيين من الصين والجاوا الى سوريا وفلسطين

(١٢) إغناء البلاد الحجازية عن الحاجة الى الاجانب في القوت فان

أكثر قوت عرب الحجاز من الهندي الذي يرد اليهم من موانئ البحر الاحمر الذي قبضت انكلترا على قطريه فصارت تعتقد ان حياة الحجاز أصبحت في قبضتها حكماً وانه لابد أن يأتي يوم يمكنها فيه قطع موارد الرزق عنه لاخضاعه أو اعدامه « والعياذ بالله تعالى » واذا تسنى لها الاستقلال بالسلطة على البحر الاحمر « لاقدر الله » فان ذلك لواقع ماله من دافع الا بامتداد السكك الحديدية من الحجاز الى بلاد الدولة الخصبة ولا تحسبن ان هذا القول منا ناشيء عن التخيل والتسحاب مع الافكار في إساءة الظن بالانكليز بل هو من مقاصدهم الاولى في احتلال مصر كما يؤخذ من مطاوي كلامهم في خطبهم وجرائدهم ومن تتبع سير سياستهم، ولقد تمثل المقطم في أثناء الفتنة الارمنية بابيات منها

هامصر قد أودت وأودى أهلها　　الا قليلا والحجاز على شفا

(١٣) تمكن الدولة العلية في أيّ وقت من جمع قواها العسكرية في أي رجا من ارجاء بلادها

(١٤) الخط من شأن نزعة السويس التجاري والسياسي التي كانت مجلبة الشقاء لمصر لان هذا الطريق أقرب الطريقين الى الهند وسائر انحاء الشرق الاقصى واذا تقشع سحاب النفوذ الاجنبي عن مصر وعادت النزعه خالصة لها من دون الاجانب فانها ترضاها على انحطاط شأنها بل لا تراها منحطة اذا كان مانقص من منافعها عاد بالزيادة على السلطنة التي هي جزء منها وتقول كما يقول العوام في أمثالهم «من الكيس الى الجيب»

(١٥) نكاية الانكليز فان هذا المشروع جائحة على تجارتها وسياستها لانه أقرب الابواب الى الهند فاذا أمكن انفاذه تضطر بريطانيا العظمى

الى السعي في مرضاة الدولة العلية ومسالمتها ان لم نقل الى محالفتها ولو بتسوية المسألة المصرية والا نفعل فالهند على خطر من طروق نفوذ روسيا العسكري ونفوذ الدولة العلية الروحي والعسكري اذا هي اتفقت مع روسيا وما ذلك يومئذ ببعيد

(١٦) احتياج روسيا وفرنسا وألمانيا لمحالفتنا أو مصافاتنا ومرضاتنا لمصالحهن التجارية في الشرق ولمقاصدهن الاولى السياسية على الاخص فان تم لنا هذا المشروع قبل ان نتحالف مع أحد فلنا الخيار في حلاف من نشاء والا فالسابقون السابقون أولئك المقربون . هذا ما عنّ لنا من فوائد هذا المشروع المالية والادبية والسياسية

« غوائل المشروع »

ليس هناك غوائل كثيرة وانما هما غائلتان (الاولى) أن ما ينتظر من فوائد هذا المشروع الحسية والمعنوية للدولة العلية وللعالم الاسلامي — الذي يسيء أوربا كلها وما ينجم عنه من المضرات التجارية لشركة ترعة السويس لا سيما انكلترا وفرنسا ولسائر شركات البواخر التجارية . وما تخشاه بريطانيا من مضرته السياسية كل ذلك يحمل هذه الدول على عرقلة المشروع ومعارضته قبل ايجاده ما استطعن الى ذلك سبيلا ثم على اتخاذه ذريعة لتداخلهم في شؤونه اذا هو وجد بحجة حقوق رعاياهم الهنديين وغيرهم . يقول الفاضل محرر (وكيل) ان هذا عمل تجاري محض لا يقدر أحد من الدول أن يعارض فيه لانه لا دخل له في السياسة البتة . ونحن نقول أيضاً إن الدولة اذا أرادت انفاذ هذا المشروع لا تقدر الدول على معارضتها

فيه وسميا ولكنها تحدث لها فتنا ومشاكل وتهمها بانها تؤلف شركة من مسلمي الارض لاجل أحياء التعصب الديني الذي يتجرعون علينا به دائما مع بعدنا عنه ويتنصلون منه مع ملابستهم له ، ولعل حضرة الفاضل لم تقس اتهام الجرائد الانكليزية للدولة العلية بثورة الهند الاخيرة ومنعها جرائد الاستانة العلية من دخول الهند وهذا هو الذي لاحظه السيد طاهر بك صاحب « معلومات » الغراء حيث قال « أما ما أشار به الكاتب الهندي من حصول هذه الامنية على يد لجنة تؤلف تحت مراقبة الحضرة الشريفة السلطانية الشاملة النفوذ في العالم الاسلامي فمع كونه مصيبا في نفس الامر لا يخلو في الظاهر من محاذير عظيمة لا تخفى على اللبيب اذ لا فائدة لدولتنا العلية في أن تستدعي لنفسها عراقيل جديدة وصعوبات متنوعة من جاراتها الدول الاوربية اللاتي لا يغفلن عن تأويل كل أعمالها بما يوافق أوهامهن « ليته قال اهوامهن » ولا يفترن عن اتهامها بما لم يخطر لها ببال في كل أقوالها وافعالها فالاجدر بنا أن نقنع بالممكن القريب ونجتنب كل ما يؤول بالنهلكة على العالم الاسلامي والوطن العزيز العثماني فتأتي الامور من مقدماتها منتهين الى عواقبها . وما أصوب قول رفيقتنا الجديدة « المنار » من أن صاحب البلاد أدرى بمصالحها ومنافع أهلها نصره الله تعالى ووفقه في كل الامور » اه هذا ما قالته جريدة معلومات وله وجه ظاهر نعم انها بالغت بالتهويل لاسيما قولها « يؤل بالنهلكة الخ »

(الفائدة الثانية) ان سهولة المواصلات وتمهيد طرق التجارة في داخل بلاد السلطنة السنية من موجبات تداخل الافرنج في احشائها

وتسلانهم اليها من كل حدب وكيف لا يتسللون اليها مع السهولة وهم الآن يتغلغلون فيها مع الحزونة وهؤلاء الافرنج اذا دخلوا قرية أفسدوها ، واذا عمدوا الى ثروة قوم ابادوها ، واذا تبوأوا بلاد شرقية استأثروا بمنافعها واستخدموا أهلها ، لان أهل الشرق كسالى متقاعدون ، وهم نشطاء مجدون ، وأهل الشرق فقراء جهلاء ، وهم أغنياء علماء ، وهذه بلاد الشرق كلها تشهد بصحة ما نقول لا سيما التي تمهدت سبلها وانشئت الخطوط الحديدية فيها كالبلاد المصرية . وكفاهم جهلا وغباوة أن الدولة تمنحهم امتيازات بأعمال عظيمة نافعة فيبيعونها للاجانب الطامعين في بلادهم كما جرى في امتيازات الخطوط الحديدية بين بيروت والشام وبين الشام وبرجك وبين بيروت وجبيل أوطرابلس التي باعها أكابر تجارنا للفرنساويين . فاذا كان هذا حال أغنيائنا وكبرائنا ، فكيف لا يكون كل مشروع نافع سبباً لبلائنا وشقائنا ، وغنيمة وسعادة لاعدائنا ، ولا يكتفي أولئك الدخلاء بالقبض على أزمة المنافع ، والاستئثار بالثروة ، بل يخلقون الفتن ، ويستثيرون الاحن ، واذا وقعت فتنة بشؤمهم أو مما لا تخلو عنه طبيعة الوجود يغرمون الدولة العلية الاموال الطائلة باسم التعويض عما فات تجارهم من المكاسب ، أو أتلفوا عند نزول المصائب ، والشاهد على هذا قريب فلا تكاد تخلو جريدة من جرائد العالم اليوم عن ذكر مطالب الدول الاوربية من الباب العالي التعويض عما خسره اتباعهم في أطواء فتنة الارمن الاخيرة

بقي علينا البحث في النوقي من هاتين النائلتين وماذا يكون . ورأينا ان النائلة الاولى لا يمكن تلافيها الا بمحالفة روسيا أو ألمانيا أو انكلترا والارجح لنا ما يظهر ان سيدنا ومولانا أمير المؤمنين مرجح له وهو

حلاف المانيا أو الدول الثلاث لما نبينه في النبذة التالية . وأما الفائدة الثانية فعلاجها السعي الحثيث في تعميم التربية والتعليم على الوجه الذي شرحناه في العدد السادس عشر . ولا يقال ان هذا يحتاج لزمن طويل لاننا نقول ان اتمام المشروع أيضاً يحتاج لزمن طويل اذا اخذنا في غضونه بالتربية والتعليم اللذين يشعران قلوبنا معنى الامة والوطن ويزعجان نفوسنا للتمسك بهما ووقف حياتنا على خدمتهما لا يتم المشروع الا وروح الوطنية والقومية قد انتشر فينا انتشارا نرجو معه ان تكون فوائد عملنا لنا لا للاعدا نافعة هذا فلنحض الجرائد في كل حين ولمثله فلتتوجه همم العاملين

كيفية الطلب

ان دعوة الجرائد الى هذا العمل قبل عرضه على المرجع الاعلى ، والوقوف على موقعه من ذلك الرأي الاسمى دعوة تشبه البناء على غير أساس ، والاستنباط بدون مراعاة شروط القياس ، والذي نراه في هذا ان يشرح الموضوع شرحا تاما ويعرض على الحضرة السلطانية أيدها الله تعالى بواسطة أحد رجال المابين المقربين منها [1] فاذا آنس الوسيط منها ارتياحا وقبولا للمشروع يؤخذ في الدعوة اليه وتأليف اللجان للاكتتاب وتصدى الجرائد للحث والحض والتنشيط والترغيب . والاولى أن يكون الطلب من عدة أقطار وأن يكون الوسيط مقتنعاً بفائدة المشروع راغباً فيه . هكذا ينبغي ان تؤتى البيوت من أبوابها والله الموفق وهو المستعان

---

(١) يظن قوم ان هذا التفويض الى السلطان كان من الخطاء ولكن القيام بسكة الحجاز اثبت ذلك فلولا السلطان لما نهضت همة كل المسلمين بذلك